

الفصل الأول

طه حسين طالبا في الجامعة

علاقة طه حسين (١) بالجامعة المصرية علاقة قديمة ، وتاريخه معها تاريخ طويل، بدأ منذ انشائها ، فعندما فتحت الجامعة الأهلية أبوابها عام ١٩٠٨ (٢) عرف طريقه إليها ، وكانت مرحلة انتقال ذات أثر كبير في حياته فقد انتظم في دروسها وأقبل يتلقى علوم العصر ومعارفه على مناهج وأساليب لم يعهدها في أثناء دراسته بالأزهر، فقد رأى في الأزهر بيئة محافظة سلفية كادت تحيل العقول الى أجهزة تعتمد على المحفوظ من المتون والحواشي دون ايمان الفكر بالتحليل والدراسة في هذه المتون والحواشي لمي حين وجد في الجامعة بيئة تكبر من شأن الفرد وتحترم قدرته على التفكير ، وتعينه على النقد

(١) ولد طه حسين في عزبة « الكيلو » احدى ترقى مركز مغاغة بمحافظة المنيا في ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ ، وقد فقد بصره في الثالثة من عمره، ولكن عوض عن ذلك بذكاء حاد وذاكرة قوية ، وبعد ان حفظ القرآن الكريم والم بالعلوم الدينية والعربية ارسل الى القاهرة ليتلقى العلم بالأزهر الشريف . وكان ذلك عام ١٩٠٢ فحضر دروسه الا انه اخذ يتبرم بنظامه ، ولما افتتحت الجامعة المصرية القديمة عام ١٩٠٨ التحق بها وانتظم في دروسها .

مهدي علام . مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (المجمعيون) القاهرة — مجمع اللغة العربية ١٩٦٦ . د. شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر ١٨٥٠-١٩٥٠ القاهرة — دار المعارف ١٩٥٧ ص ٢٤٢ .

(٢) عن تفاصيل افتتاح الجامعة انظر كتابنا « الجامعة المصرية نشأتها ودورها في المجتمع » القاهرة — دار الكتاب الجامعي . الطبعة الأولى ١٩٨٠ .

والتقويم وتدفعه الى الابتكار اذا كان من أصحاب الاستعداد له
كما تفتح له أبواب البحث لكي يضيف الى العلم جديدا (٣) .

سمع طه حسين في الجامعة دروس أحمد زكي باشا في الحضارة
الاسلامية ، ودروس أحمد كمال باشا في الحضارة المصرية القديمة ،
ودروس اجناتسيو جويدي Ignazio Guidi في أدبيات
الجغرافيا والتاريخ ودروس ليتمان Litmann في تدريس اللغات
السامية وخصوصا السريانية وأصول العبرية والحبشية كذلك درس له
نلينو تاريخ الفلك عند العرب ثم تاريخ الأدب العربي ، كما درس له
سانتلانا تاريخ الفلسفة الاسلامية ، وكان أثره عميق على ثقافة طه
حسين .

وكذلك حضر دروس الأستاذ ميلوني في تاريخ الشرق القديم
وخصوصا تاريخ بابل وآشور وسومر .

وقد بدأ طه حسين في تعلم اللغة الفرنسية منذ عام ١٩٠٨ فلما
أنس في نفسه قدرة على متابعة الدروس التي تلقى بها حضر دروس
الأدب الفرنسي التي كان يلقونها الأستاذ لويس كليمان Louis Clement
الذي كان أستاذا في جامعة ليل Lille وانتدب للتدريس في الجامعة
المصرية آنذاك ، واستمع الى دروس الجغرافيا التي كان يلقونها
اسماعيل رأفت (٤) .

(٣) د. عبد العزيز شرف : طه حسين وزوال المجتمع التقليدي .
القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ ص ٢٨ .

(٤) د. عبد الرحمن بدوي (اشراف) الى طه حسين في عيد ميلاده
السبعين دراسات مهداة من اصدقائه وتلاميذه . القاهرة - دار المعارف
١٩٦٢ ص ١٠ - ١١ .

وقد تجلّى نشاط طه حسين في دراسته بالجامعة وتفوقه على أقرانه ، ونال الدرجات العظمى في معظم المواد التي امتحن فيها (٥) .

ولما أعلنت الجامعة عن وجود بعثتين من بعثاتها الى فرنسا احدهما لدراسة التاريخ والأخرى لدراسة الجغرافيا أرسل طه حسين الى رئيس الجامعة خطابا يعلن فيه حرصه الشديد على أن يكون أحد الطالبين واختار دراسة التاريخ كما أعلن عن رغبته في أن تجعل الجامعة مقياسها في اختيار المبعوثين وأن يستثنى من شرط الحصول على الشهادة الثانوية على أساس أنه درس بالجامعة وأحرز الدرجات العظمى في كل العلوم التي امتحن فيها وهذا يقوم مقام الثانوية العامة ويزيد كما أوضح أن فقدان بصره لم يعقه عن سماع دروس الأساتذة . ولما عرض خطاب طه حسين على مجلس ادارة الجامعة كان نصيبه الرفض على أساس أن صاحبه لا يحمل الشهادة الثانوية وان ارساله الى أوروبا سيكلف الجامعة نفقات اضافية ، لأن الطالب الكفيف لا بد أن يكون له رفيق يساعد على الذهاب الى الجامعة ويقراً له ما يحتاج الى قراءته من الكتب (٦) وقد زاد رفض الجامعة لطلب طه حسين من اصراره ، فرفع الى رئيس الجامعة كتابا آخر ذكر فيه أنه لا يطلب من

(٥) نال طه حسين الدرجات العظمى في تاريخ الشرق القديم عن السنتين الأولى والثانية وفي علم تقويم البلدان عن السنة الأولى وفي علم مقارنة اللغات السامية عن السنتين الأولى والثانية وفي تاريخ المذاهب الفلسفية عن السنة الأولى وفي الفلسفة العربية وعلم الأخلاق عن السنة الأولى ، وفي تاريخ آداب اللغة العربية عن السنتين الأولى والثانية ، وفي آداب اللغة العربية عن السنتين الأولى والثانية وفي تاريخ الأمم الاسلامية عن السنة الثانية، ٢٩ من ٣٠ عن السنة الأولى الجامعة المصرية . تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بمرأى الجامعة في الثلاثاء ٢٩ أبريل ١٩١٣ عن حالة الجامعة في السنة المكتبية ١٢ - ١٩١٣ ص ١٤ مكرر .

(٦) طه حسين : الأيام ٣ القاهرة - دار المعارف . الطبعة الثانية

١٩٧٣ ص ٤٨ - ٥١ .

النفقات في البعثة الا المقدار الذي يطلبه غيره من الطلاب ، واذا كانت الطبيعة قد حالت بينه وبين نعيم الحياة – فحرمة من نعمة البصر – فما ينبغي أن تكون الجامعة عوناً للطبيعة على ديمانه لذة الانتفاع بالعلم والنتفع به .

ورفض مجلس الجامعة خطاب طه حسين الجديد كما رفض الأول بحجة أنه لا يعرف الفرنسية حق معرفتها ، وأراد المجلس أن يخفف من لهجة الرفض فصاغه في صيغة التأجيل حتى يحسن اللغة الفرنسية مطمئناً الى أنه لن يجد الى احسانها سبيلاً ، ولكن طه حسين زُداد تصميمًا وأخذ يدرس الفرنسية ، ولما اتقنها كتب الى رئيس الجامعة أنه وصل في هذه اللغة الى مقدار لا بأس به ، كما أنه سيتقدم لامتحان العالمية في قسم الآداب فقبل مجلس الادارة التحدى ، واشترط اسفر طه حسين حصوله على العالمية (الدكتوراه) (٧) وفي تلك الأثناء لم يكن التقليد قد جرى على أن يعد الطالب رسالته تحت اشراف أستاذ لذلك أخذ طه حسين يتخير موضوعاً للرسالة التي سيقدمها انيل الدكتوراه من الجامعة ، فحاول أن يدرس ما أحدثته الفارسية في العربية من الأثر أيام بنى العباس ، ولكن اللغة الفارسية حالت بينه وبين هذا الموضوع فخرج لدراسة الروح الدينى فيما ترك الخوارج من الآثار الأدبية ، ولكن قلة هذه الآثار حالت بينه وبين القدرة على تصوير هذه الروح تصويراً واضحاً (٨) فحاول أن يدرس ماحدث من اختلاف مذاهب الشعراء في التعبير عن أغراضهم في صدر الدولة العباسية، ولكنه أعرض عنه ، وعرض عليه أن يدرس حياة الجاحظ ولكنه لم يوفق الى أكثر كتبه ، ولما عرض عليه دراسة حياة أبى العلاء رأى أن بينه وبين هذا الرجل تشابهاً فقد حرم كلاهما من نعمة البصر

(٧) نفسه ، ص ٥٢ – ٥٣ .

(٨) طه حسين : تجديد ذكرى أبى العلاء . القاهرة – دار المعارف
الطبعة الخامسة ١٩٥٨ ص ٦ .

فأقبل على دراسته، واستمع الى قراءة ماكتب عنه من التقدماء والمحدثين ومن العرب والفرنج ، كما استمع الى كتب أبي العلاء نفسه مثل اللزوميات ، ورسالة الغفران وغيرهما وقد وصل الى نتيجة طبيعية في ذلك وهى فهم فلسفة أبي العلاء ، وردها الى مصادرها وفهم الروح الأدبية لهذا الفكر العربى ، ووضعه فى مكانته الطبيعية بين الأدباء العرب بعد أن كانت آثاره الأدبية والفلسفية لا يعلم عنها الكثير كما تطرق طه حسين الى دراسة أحوال الأمة العربية فى عصر أبي العلاء (٩) .

وقدم طه حسين بحثه الى الجامعة بعد أن انتهى من كتابته فحددت له يوم الاثنين ٤ مايو ١٩١٤ موعدا لمناقشته (١٠) ، وطقا لللائحة الجامعة اختار مجلس القسم موضوعين آخرين بخلاف الرسالة لامتحانه فيهما وهما :

١ — علم الجغرافيا عند العرب .

٢ — المقارنة بين الروح الدينية للخوارج فى أشعارهم وفى كتب المتكلمين .

وتألفت لجنة الامتحان من الأستاذ محمد الخضرى رئيسا والأستاذين اسماعيل رأفت بك والشيخ علام سلامة المنتدبين من نظارة المعارف وكان اجتماع اللجنة بهيئة علنية أمام جمهور كبير من الناس،

(٩) طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء . ص ٧ .

(١٠) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية فى ٢٤ مايو ١٩١٤ ص ٢٦ . بينما يذكر الدكتور طه حسين أن موعد الامتحان كان الثلاثاء الخامس من مايو ١٩١٤ .

انظر الأيام ح ٣ ص ٦٠ ، تجديد ذكرى أبي العلاء صفحة الغلاف .

واستمرت المناقشة حوالى ثلاث ساعات ذهب أكثرها فى جدال عنيف
بين الشيخ المهدي وطه حسين (١١) .

وبعد مناقشة الشيخ طه حسين فى رسالته وفى الموضوعين اللذين
اختارهما له مجلس القسم اجتمعت لجنة الامتحان للمداولة ، وبالرغم
من أن رأيا كان حسنا فى الطالب وكانت تريد أن تمنحه أحسن القابها
فان الشيخ المهدي أصر على منح الرسالة تقدير جيد جدا بدلا من
فائق وقد نزلت اللجنة عند رأيه (١٢) وقررت منح الطالب طه حسين
درجة جيد جدا فى الرسالة ، ودرجة فائق فى الجغرافيا عند العرب ،
ودرجة فائق فى موضوع الروح الدينية للخارج (١٣) .

وكانت هذه الرسالة هى أول بحث قدم الى الجامعة ، وامتنح
فيه صاحبه فى مناقشة عنيفة ، وكان لذلك صدى كبير بين أوساط
المصريين فأعلن علوى باشا عضو مجلس ادارة الجامعة عن نبرعه
بجائزة قدرها عشرون جنيها لطله حسين الذى يعتبر أول طالب حصل
على الدكتوراه من الجامعة المصرية (١٤) كما تنبأت إحدى الصحف فى
تعليق لها على نجاح طه حسين بمستقبل كبير له (١٥) .

(١١) كان سبب الجدل ما ذكره طه حسين فى رسالته « وزعم شيخنا
المهدي » فأسرهما الشيخ المهدي فى نفسه .
عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ص ١١ .
ويذكر طه حسين أن سبب الخلاف بينه وبين الشيخ المهدي كان حول
رأى أبى العلاء فى البعث .

للتفاصيل انظر : حديث الأربعاء ح ٣ ص ٤٤ .
(١٢) حديث الأربعاء ص ٤٤ .

(١٣) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية
فى ٢٤ مايو ١٩١٤ ص ٢٦ .

(١) طه حسين : الأيام ح ٣ ص ٦١ .
(١٥) الاهرام فى ٢٠ يونية ١٩١٤ .

والواضح أن ماكتبه طه حسين عن أبي العلاء يعتبر نقطة تحول كبير في مناهج الدراسة الأدبية في مصر في العقد الثاني من القرن العشرين إذ درس أبا العلاء وآثاره وبيئته وعصره والمؤثرات التي أثرت في أدبه وفلسفته دراسة يتضح منها سلامة الأحكام واتقان فهم النصوص وتحليلها (١٦) فقد اتخذ طه حسين فيه من شخصية أبي العلاء درسا لعصره واستنبط ما أحاط بحياته من مؤثرات .

وقد كان هذا البحث أول دراسة في تاريخ الأدب العربي تستخدم فيها الدراسات الاجتماعية والنفسية استخداما واعيا لاضاءة الجوانب الفكرية (١٧) مما يوضح لنا الفرق بين منهج الدراسة في الجامعة ومنهج الدراسة في الأزهر وقد أوضح طه حسين ذلك في مقدمة بحثه فشرح منهج الأزهر في دراسة الآداب العربية ممثلا في الشيخ سيد بن علي المرصفي مدرس الأدب في الأزهر ومنهج الجامعة ممثلا في بحثه (١٨) .

ومنذ أن أخرج طه حسين رسالته عن حياة أبي العلاء انعمى بدأت متابعه مع بعض الأزهريين ، فقدم عبد الفتاح الجمل ، وكان عضوا بالجمعية التشريعية عن بورسعيد باقتراح يطلب فيه أن تقطع الحكومة معاونتها عن الجامعة لأنها أخرجت ملحدا ، وكان سعد رعلول رئيس لجنة الاقتراحات فلما عرض عليه هذا الاقتراح دعا المقترح للقاءه ، وطلب إليه أن يعدل عن اقتراحه فلما أبى قال له ان أصرت

(١٦) الهلال : العدد الثاني من السنة الرابعة والسبعون في أول فبراير ١٩٦٦ ص ٥٥ مقال للدكتور شوقي ضيف تحت عنوان « طه حسين والدراسات الأدبية » .

(١٧) الهلال : العدد السابق ص ١٠٣ مقال للدكتور شكري عياد تحت عنوان « طه حسين والثقافة اليونانية » .

(١٨) للتفاصيل انظر : طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص ٨ ، الأيام ح ٣ ص ١٤٠ .

على موقفك فان هناك من سيقدم اقتراحا آخر يطلب فيه من الحكومة أن تقطع معونتها عن الأزهر لأن طه حسين تعلم في الأزهر قبل أن يتعلم في الجامعة فاضطر الرجل أن يسحب اقتراحه (١٩) .

ولما كان مجلس ادارة الجامعة قد اشترط على طه حسين الحصول على الدكتوراه حتى يمكن ضمه الى بعثة الجامعة المسافرة الى أوروبا فقد كتب طه حسين الى الجامعة يطالبها بتنفيذ وعدها ، والحاقة ببعثتها ، وقد وافقت الجامعة على ضمه الى بعثتها وايضاه الى مونبليه (٢٠) لدراسة العلوم التاريخية (٢١) وحددت الأسبوع الأول من أغسطس ١٩١٤ كموعده لسفره .

واستعد طه حسين للسفر ، ولكن اعلان الحرب العالمية الأولى جعل الجامعة تسترد طلابها من أوروبا ، وتوقف ارسال البعثة الجديدة، فأراد طه حسين أن يشغل نفسه بما يفيد الجامعة فطلب من رئيسها أن يقوم بتدريس آداب اللغة العربية في الجامعة بغير أجر حتى تنتهي الحرب ، ولما عرض الأمر على مجلس ادارة الجامعة وافق عليه بشرط أن يتقاضى الدكتور طه أجرا عن قيامه بالتدريس . ولم تمض فترة حتى دعت الجامعة الدكتور طه حسين للسفر مسافرا الى مونبليه ، والتحق بجامعةها وعكف على اتقان اللغة الفرنسية

(١٩) طه حسين : الأيام ح ٣ ص ١٤٠ .

(٢٠) اتفق على ارسال البعثة الى جامعة مونبليه الشهيرة في جنوب فرنسا نظرا لأن باريس كانت قريبة من ميدان القتال ، ومهددة بالسقوط في يد الألمان .

الهِلال : العدد الثاني من السنة الرابعة والسبعون في اول فبراير ١٩٦٦ ص ١٣ تحت عنوان « عميد الادب ومعجزة الأيام » .

(٢١) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بدار الجامعة في يوم الخميس ١٧ يونية ١٩١٥ عن حالة الجامعة في السنة المكتبية ١٤ - ١٩١٥ ص ١٦ .

وحضور دروس في الأدب الفرنسي والتاريخ الحديث فضلا عن دروس العلامة فوكو في علم النفس ، وفي مونبليه أيضا تعرف طه حسين على الفتاة التي قدر لها أن تصبح زوجته فيما بعد (٢٢) .

واظب طه حسين على دراسته في مونبليه نحو عام ثم عاد في نهايته الى مصر مع من عادوا من مبعوثي الجامعة نظرا لتدهور احوال الجامعة المالية . وبعد عودته سعى لكي يعين مدرسا لتاريخ آداب اللغة العربية في الجامعة ، وكان الشيخ محمد المهدي يدرس هذه المادة ، وكادت مساعي طه حسين أن يقدر لها النجاح لولا أن الشيخ المهدي تطوع لتدريس هذه المادة بالجان ففضلت الجامعة التي كانت تمر بأزمة مالية عرض الشيخ المهدي (٢٣) .

وواظب طه حسين على حضور بعض الدروس التي كانت تلقى في الجامعة وما أن استمع الى درس الأستاذ المهدي عن الأدب الأندلسي حتى انتقده نقدا عنيفا ، وقارن بين هذا الدرس وما رآه في فرنسا على صفحات جريدة السفور ، ولم تكن المقارنة مرضية للشيخ المهدي (٢٤) فدارت معركة أدبية بينه وبين أستاذه معركة لا تقبل في قول الحق لومة صديق أو ترعى قدسية أستاذ فذكر طه حسين أن الدرس الذي سمعه كان أشبه بمعرض الصور المتحركة تمر فيه ظلال الشعراء فلا يعرف السامع منه أكثر من أسماء الشعراء فقط ، كما أن الأستاذ ينسب شعر ابن هانيء لابن خفاجة ثم يعتذر اذا أنكر عليه أحد الطلبة ذلك ، كما ذكر بأن هذا الدرس لا يدل على أنه درس جامعي وانما هو نوع من الحديث البديهي الارتجالي الذي يستنقز

(٢٢) د. حمدي السكوت وآخر . المرجع السابق . ص ٩ .

(٢٣) محمد سيد كيلاني : طه حسين الشاعر الكاتب . القاهرة ١٩٦٣

ص ١٢١ .

(٢٤) طه حسين : حديث الأربعاء ح٣ . ص ٤٤ .

ساميه بما يعرض فيه من الغزل والوصف ثم حمل على أسلوب
التدريس في الجامعة بوجه عام وتب. عن جدواه (٢٥) .

ولم يكد يقرأ الأستاذ المهدي ماكتبه عنه طه حسين حتى تملكه
سخط شديد (٢٦) ، وحدثت أزمة نشرت الصحف أنباءها أياما
متوالية ، وقد اعتبرت بعض الصحف أن نقد طه حسين لأستاذه نقدا
علميا خالصا تناول علم الأستاذ مباشرة ، وهذا من حقه لأن مدأ
التستر على الخطأ العلمي مبدأ شديد الخطر على الحياة الأدبية
للأمم. (٢٧) .

وكتب الشيخ المهدي الى مجلس ادارة الجامعة يشكو طه حسين،
ويذكر أن انتقاد أحد تلاميذه له على هذا النحو يعتبر اهانة له لذلك
فهو يطلب من مجلس الادارة توقيع عقاب شديد على الدكتور طه
حسين الذي ارتكب هذا الجرم الشنيع بأن يشطب اسمه من قائمة
خريجي الجامعة الذين يتعلمون على نفقتها في فرنسا (٢٨) وكاد يتحقق
طلبه ، وقد أوضح طه حسين ذلك بقوله « كان من الممكن جداً أن
يوفق الأستاذ في حرمانى هذه العودة ، وأذكر أن المرحوم علوى باشا
دعانى ذات صباح الى الجامعة فذهبت ، فلما دخلت عليه استقبلنى
استقبالا سيئا جدا ، وكان شديد الحب لى والعطف على وقال ماذا
كتبت عن أستاذك الشيخ مهدي ، قلت كتبت رأيى في درس من دروسه،
قال في عنف ولكنك تجاوزت مع أستاذك حد الأدب ، اذهب واعتذر

(٢٥) السفور : العدد ٢٧ من السنة الأولى فى ٣ ديسمبر ١٩١٥

تحت عنوان « يوم ٣٠ نوفمبر فى الجامعة المصرية » .

(٢٦) طه حسين : المرجع السابق ج٣ . ص ٤٤ .

(٢٧) السفور : العدد ٣٠ من السنة الأولى فى ٢٤ ديسمبر ١٩١٥

تحت عنوان « باب النقد » .

(٢٨) السفور العدد ٣١ من السنة الأولى فى ٣١ ديسمبر ١٩١٥

تحت عنوان « على ذكر حادثة » .

اليه والا فان الجامعة لن ترضى منك هذا ، وستكون عاقبة هذا الموقف سيئة جدا ، أجبته ماكنت لاعتذر عن رأى أراه وانصرفت معاضا « (٢٩) .

انتقدت احدى الصحف طلب الشيخ المهدي ، وطلبت منه عدم المبالغة والتبويل في ذلك الأمر الذى يمكن أن يتجنب الوقوع في ادا ماازداد اهتماما بتحضير دروسه (٣٠) .

وقد أثارت هذه المسألة ضجة كبيرة في الصحف ، ووضعت أساسا للنزاع بين المحافظين والمجددين فقد أعطى الشيخ المهدي المثال الكامل عن الأدباء الذين تعلموا في الأزهر وامتلات عقولهم بما حوته الكتب العربية القديمة ومهما بلغ من تقدم هؤلاء الأدباء في العلم فانهم يميزون بنقص كبير في التحليل والطرافة العلمية والتمسك الشديد بالتقاليد الأزهرية الموروثة والتي أصبحت لا تناسب العصر . أما الدكتور طه حسين فهو محب للتقدم له فكر واسع ، ولا يطبق مثل طريقة الشيخ محمد المهدي في التدريس (٣١) فقد كانت دراسته بأوربا واستعداده النفسى وما كان مهينًا بداخله من بذور العناد والثورة هي العوامل الحقيقية في وقوفه أمام الشيخ المهدي وأضرابه من الأزهريين .

وذكرت احدى الصحف أن من الواجب تقوية روح النقد في نفوس المصريين لأن هذه الطريقة هي الوحيدة التى يمكن أن تؤدى الى نشر العلم الصحيح بين الناس (٣٢) .

٢٩١ طه حسين . المرجع السابق ص ٣٤ - ٤٥ .

٣٠١ السفرور : المقال السابق .

٣١١ السفرور : المقال السابق .

٣٢٢ السفرور : العدد ٢٩ من السنة الأولى في ١٧ ديسمبر ١٩١٥

بحث عنوان « حربه النقد » .

وجرت محاولات للتوفيق بين الطرفين فطلب علوى باشا الى الأستاذ على بهجت سكرتير مجلس الجامعة وقتئذ أن يجمع بين طه حسين والشيخ المهدي ويجهد في الإصلاح بينهما ، وقد تم الاجتماع في دار الآثار العربية (٣٣) واعتذر طه حسين الى الشيخ المهدي عما رآه الشيخ ماسا بكرامته (٣٤) وانتهت المسألة عند ذلك، فاجتمع مجلس الجامعة وأقر الصلح (٣٥) ، ونشر سكرتير مجلس الجامعة بياناً في الصحف قال فيه « اجتمع لدى الأستاذ الشيخ محمد المهدي والدكتور طه حسين وتكلما في شأن مانشر بجريدة السفور . . وتفاهما تفاهما حسنا ، واعتذر الشيخ طه حسين الى الأستاذ الشيخ المهدي عما رآه الشيخ المهدي ماسا بكرامته » (٣٦) .

ويلاحظ من هذا البيان أن طه حسين لم يعتذر عن رأيه العلمي ولم يتنازل عنه أو يتراجع ، وإنما اعتذر فقط « عما رآه الشيخ المهدي ماسا بكرامته » .

وزاد لطفى السيد في ترضية الشيخ المهدي فحضر مع طه حسين وآخر من أساتذة الجامعة درساً من دروس الشيخ المهدي فلما انتهى وقف لطفى السيد ووجه الشكر للأستاذ (٣٧) .

ومن وجهة نظرنا فإنه كان من المنتظر من الشيخ المهدي أن يرد على نقد طه حسين رداً علمياً وأن يبرهن على موقفه ويدافع عن

(٣٣) طه حسين : حديث الأربعاء ح ٣ ص ٤٥ .

(٣٤) السفور : المقال السابق .

(٣٥) طه حسين : المرجع السابق ح ٣ ص ٤٥ .

(٣٦) الهلال : العدد الثاني من السنة الرابعة والسبعين في اول

فبراير ١٩٦٦ ص ٩١ مقال للأستاذ أنور الجندي تحت عنوان « صفحات

مجهولة من حياة طه حسين » .

(٣٧) الهلال : العدد السابق .

وجهة نظره في شرح درسه ، ولكن الواضح أنه أحس بأن قدرة الدكتور طه حسين العلمية كفيلة بتفنيده ودخس آرائه بما يزيد في حرج مركزه العلمي بين أوساط المثقفين وبوجه خاص بين رجال الجامعة فأثر الشيخ المهدي عندئذ الخروج بالخلاف من الاطار العلمي الى الناحية الشخصية والواقع أن مادرسه طه حسين في مونبليه رسم في ذهنه صورة مثالية لشموخ الدراسات الجامعية مما دفعه الى نقد أستاذه .

وظل طه حسين يتردد على الجامعة المصرية في انتظار العودة الى فرنسا ، ولما انفجرت أزمة الجامعة المالية بعد أن دفعت وزارة الأوقاف باقى الاعانة المقررة للجامعة قررت الجامعة اعادة طلبتها الى أوربا (٣٨) وطلبت من طه حسين الاستعداد والتأهب هو وزملائه أعضاء البعثة لمقابلة السلطان حسين كامل قبل السفر ، وبعد أن تم اللقاء منح السلطان كلا منهم مبلغ خمسين جنيها (٣٩) ، وسافر طه حسين الى فرنسا في ديسمبر ١٩١٥ ولكنه لم يذهب هذه المرة الى مونبليه بل قصد باريس ، والتحق بكلية الآداب بجامعةها ، وأخذ على نفسه وعدا بأن تكون حياته في أوربا مثالا صالحا لما يجب أن يكون عليه المصرى في الغرب من الحياة الصادقة الملوثة بالجد والعمل (٤٠) .

وقد استقامت للدكتور طه حسين دروسه في السربون فدرس مايتصل بمصادر الحضارة الأوربية كالتاريخ اليونانى والرومانى فضلا عن التاريخ الحديث كما درس علم الاجتماع على يد البروفسور

(٣٨) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بسرأى الجامعة يوم الخميس ٢٩ يونيو ١٩١٦ عن حالة الجامعة فى السنة المكتبية ١٥ - ١٩١٦ ص ٢٨ .
(٣٩) طه حسين : الأيام ٣ ص ٩١ - ٩٢ .
(٤٠) السفور : العدد ٣٠ من السنة الاولى فى ٢٤ ديسمبر ١٩١٥ تحت عنوان « قبل الرحيل » .

ايميل دوركايم Durkheim ولما أحس بأن أساتذته في السربون سيكلفونه بأعداد أبحاث اختار لنفسه أستاذاً من أساتذة المدارس الثانوية ليعلمه اللغة الفرنسية تعليماً منظماً حتى يجيدها ويحيط بأسرارها اللغوية (٤١) .

ولقد أحس طه حسين بأن عليه مهمة يجب أن تتم فهو مسئول أمام جامعة في مصر تنتظر منه الحصول على أعلى الشهادات ، فأزمع أن يظفر قبل كل شيء بدرجة الليسانس ، ثم يتقدم لدرجة الدكتوراه ودبلوم الدراسات العليا بعد ذلك ، ولم يكن الطلاب المصريون في ذلك الوقت يحاولون الظفر بدرجة الليسانس هذه لأنها كانت تكلف الذين يطلبونها عناء ثقيلاً ، فكانت تكلفهم إتقان الفرنسية واللاتينية (٤٢) ، واستطاع طه حسين أن يظفر بالليسانس عام ١٩١٧ بتشجيع ومساعدة زوجته سوزان له ، وكان قد اقترن بها في ٩ أغسطس ١٩١٧ (٤٣) .

وقد أبلغ دلا حسين الجامعة المصرية بحصوله على الليسانس فبرقت إليه تهنئة وأرسلت إليه مكافأة قدرها عشرون جنيهاً (٤٤)

ثم أعد طه حسين رسالته للدكتوراه عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وعنوانها « دراسة تحليلية نقدية عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون »

Etude analytique et Critique de la Philosophie Sociale d'Ibn Khaldoun, Paris, 1917, (Thèse des Lettres de l' Université de Paris)

(٤١) طه حسين : المرجع السابق د ٣ ص ١٠٧ .

(٤٢) نفسه ، ص ١١٧ .

(٤٣) وافقت الجامعة المصرية بأغلبية صوت واحد (٤ - ٣) على السماح للدكتور طه حسين بالزواج من سوزان نظراً لظروفه الخاصة وحاجته الي من يقرأ له .

(٤٤) طه حسين : المرجع السابق د ٣ ص ١٢٠ .

وكانت هذه الرسالة تحت اشراف كل من دوركايم^(٤٥) والمستشرق كازانوفوا ومع أن طه حسين كان موفداً من قبل الجامعة المصرية الى فرنسا لدراسة العلوم التاريخية فان الموضوع الذي اختاره أقرب الى علم الاجتماع منه الى علم التاريخ ، ويذكر طه حسين في أسباب اختياره لهذا الموضوع أن تاريخ آداب اللغة العربية منذ عصر الجاهلية الى العصر الحاضر يذكر لنا رجلين يمتاز كل منهما بإبتكار خارق لم يتصف به أحد من المسلمين ، أولهما أبو العلاء المعري والآخر ابن خلدون ولما كان طه حسين قد درس حياة أبي العلاء ومؤلفاته في الرسالة التي قدمها الى الجامعة المصرية عام ١٩١٤ فقد رأى أن يدرس ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية في الرسالة التي سيقدها الى السربون . وشجعه على ذلك أن الأستاذ كازانوفوا المشرف على رسالته كان مولعاً بالدراسات التي تتناول سيرة ابن خلدون^(٤٦) .

أخذ طه حسين يقرأ المصادر العربية والفرنسية كما ترجمت له نصوص أخرى من لغات أوروبية مختلفة ، ومدد المسيو كازانوفوا بثبت من المراجع التي تخص الموضوع ، كما أعاره بعض الكتب التي كان في حاجة إليها ، وبعد عامين من الدراسة والبحث أخذ طه حسين في املاء رسالته ثم عرضها على الأستاذ كازانوفوا لمراجعتها ، ولما قرأها أذنت له السربون في طبعتها وتوطئة لمناقشتها .

ولما كان نظام مناقشة الدكتوراه في فرنسا يشبه النظام الذي كان معمولاً به في مصر آنذاك ، والذي يقضى بامتحان الطالب في موضوعين — سبق تحديدهما له — قبل مناقشة الرسالة فقد امتحن طه حسين في موضوعين هما :

(٤٥) حين توفى « دوركايم » خلفه الأستاذ « سلسطان بوجليه » .
(٤٦) طه حسين : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . تحليل و نقد —
ترجمة محمد عبد عنان . القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة
الأولى ١٩٢٥ ص ٥ — ٧ .

١ - « علم الاجتماع كما يتصوره أوجست كونت » •

٢ - « القضايا التي رفعت على حكام الأقاليم كما يصورها بليغوس الشاب في رسائله » •

• كما نوقش طه حسين في الرسالة المقدمة منه في يناير ١٩١٨ •

وانتهت لجنة المتحنيين الى قرار بترشيح طه حسين أدرجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة ومع تهنئة اللجنة (٤٧) •

وقد حفز ذلك النجاح الباهر الدكتور طه حسين الى الحصول على دبلوم الدراسات العليا قبل العودة الى مصر ، وتحقق له ذلك في يونيو ١٩١٩ •

وهكذا كانت المسيرة العلمية لطه حسين الفتى الذي جاء من أعماق صعيد مصر وانضم الى أعرق جامعة في أوروبا وهي جامعة السربون ، وحصل منها على أعلى الشهادات العلمية وهي شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة مثالا للمثابرة والعزيمة القوية والاصرار على تخطى الصعاب التي واجهته ولما عاد الدكتور طه حسين الى مصر عين أستاذا بالجامعة المصرية •

(٤٧) طه حسين : الأيام د ٣ ص ١٢٨ - ١٢٩ :